25 me Année No. 568

Lundi - 22 - 5 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٤٢١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...

٤٢٣ قيس ولبنى ... ... : تأليف الأستاذ عزيز أباظة بك بقلم الأستاذ درينى خشبة ...

٤٢٥ لماذا لا تكون سعيداً ؟ : الأستاذ عبد العزيز جادو . .

٤٢٦ فى دنيا الأحلام ... .. : الأستاذ توفيق حسن الشرتونى

٤٢٩ الألغاز فى الأدب العربى ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٤٣١ القضايا الكبرى فى الاسلام : قتل حجر بن عدى .. ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

٤٣٤ من الشعر الجديد ... . . : الأستاذ محمد محمد رضوان . .

٤٣٦ نقل الأديب .. .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٤٣٧ من خريف الربيع [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل

٤٣٨ الشعر الجديد ... . : الأستاذ الكبير (ا . ع)

٤٣٩ جائزة أدبية ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوى ...

٤٣٩ حول مزايا الخط العربى . . : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٤٤٠ شعر ناجى . . .. : الأستاذ (د خ) ... ...

١٨ ـ دفاع عن البلاغة

١٠ — التلاؤم فى الأسلوب

أثبتنا بحجة العقل ودليل الوجدان أن التأنق فى الأسلوب أصل فى طباع الناس ، وسر فى كيان اللغة ، وركن من أساس البلاغة ؛ وأن الجمال اللفظى المطبوع مُنْشِئُ كل لسان ينطق ، وبغية كل أذن تعى ؛ فالناس خاصتهم وعامتهم يحبون أن يسمعوه ، والكتّاب قادتهم وساقتهم يتمنون أن يستطيعوه . وإذا كان فى حَمَلة القلم من يقدح فيه وينفّر منه كان ذلك من باب الكذب على النفس مردُّه إلى أسباب يعرف بعضها ذلك الثعلب الفاضل الذى

رام عنقوداً فلمـــا أبصر العنقودَ طالَه

قال : هذا حامضٌ لما رأى أن لا ينالَه !

فلندع ذلك الآن ولنسدد القول إلى الغرض المقصود من التلاؤم . فما التلاؤم فى حقيقة معناه وطبيعة مداه ؟ التلاؤم كلمة جامعة لكل وصف لا بد منه فى اللفظ ليكون الكلام خفيفاً على اللسان ، مقبولاً فى الأذن ، موافقاً لحركات النفس ، مطابقاً لطبيعة الفكرة أو الصورة أو العاطفة التى يعبر عنها الكاتب أو الشاعر

فالتلاؤم من حيث القبول فى الآذان والخفة على اللسان ، يكون فى الكلمة بائتلاف الحروف وتوافق الأصوات وحلاوة

الجرْس . ويكون فى الكلام بتناسق النظم وتناسب الفِقر وحسن الإيقاع . ومن هنا تنشأ السلاسة والعذوبة والطلاوة والرخامة ، وانسجام التراكيب ، ومتانة الحبك ، وكل صفة تنفى عن الكلام التنافر والنبوّ والقلق والتعسف والتعقيد والهلهلة والركاكة والنثاثة والحوشية والجفوة . ومدار ذلك على الذوق الفنى السليم ، والأذن الموسيقية المرهفة . ففى هاتين الحاستين وضع البارئ المصور البديع — جلّ وعلا — سر الفن كله . وبهاتين الحاستين هذبت الدهور اللغة ، وصقلت العبارة ، وتنخلت الألفاظ والتراكيب ، فتخيرت منها للأساليب الرفيعة لغة خاصة يعبرون عنها فى تاريخ الأدب بالألفاظ الكتابية والتراكيب الشعرية

وإلى هاتين الحاستين يُعزى التفاضل بين كاتب وكاتب ، والتفاوت بين شاعر وشاعر ، والتباين بين ناقد وناقد ؛ وإليهما كذلك يرجع تقديم كلمة على كلمة ، واختيار لفظة دون لفظة ، وقصور الكلام عن مداه ، أو بلوغه [illegible] سواء أكان هذا البلوغ أو ذلك القصور من جهة تأثير [illegible] الشاعر ، أم كان من جهة تأثر القارئ أو السامع

وعلى هاتين الحاستين يجرى [illegible] الحبات العقد ، مؤتلفاً كنغمات اللحن [illegible] ، معسولاً كماء السيق ، موزوناً كأنه [illegible] نقائص الطبع الموهوب لا حيلة فيها لمحتال ، ولا [illegible] ومفاوت الفضل كما قال ابن الأثير « يقع فى [illegible] أكثر مما يقع فى مفرداتها ؛ لأن التركيب أعسر من الشعر »

وتمييز اللفظ الحسن من اللفظ القبيح يحصل بأدنى كلفة ، لأن المرجع فى ذلك إلى الحاكم المطلق وهو السمع ، فما استخفه كان حسناً ، وما استثقله كان قبيحاً . « وحسن الألفاظ وقبحها ليس إضافياً إلى زيد دون عمرو ، وإلى عمرو دون زيد ، لأنه وصف ذوى لا يتغير بالإضافة »[1] فالقَراح والقُراح وصفان مترادفان للماء ولكن حسن الأول وقبح الثانى لا يختلف فيهما أحد

* * *

وأما التلاؤم من حيث موافقة الكلام لحركات النفس ، ومطابقته لصور الذهن ، فيكون بتقطيعه فِقَراً وفواصل تقصر أو تطول تبعاً لحالات النفس والفكر . فلكل عاطفة درجتها من الإبطاء أو الإسراع ، ولكل فكرة مداها من الضيق أو الاتساع ، ولكل صورة طبيعتها من الظهور أو الضمور ، ومن القوة أو الضعف . قد تكون أشعة الإلهام كومضات البرق تتعاقب على الذهن بسرعة ؛ وقد تكون عواطف النفس فائرة تجيش بالألم أو تضطرم باللذة ؛ وحينئذ تكون الفِقر القصيرة أنسب الصور للتعبير عنها ؛ كما ترى فى السور المكية من كتاب الله ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الدين تتصل بالعاطفة ، فجاء لذلك أسلوبها قصير الآى كثير السجع رائع التشبيه قوى المجاز . وقد تكون المعانى رزينة بطيئة موضوعها لتوخيها الإفادة أو الإقناع أو الشرح ، فتقتضى الأسلوب المرسل أو المفصل ، كما ترى فى السور المدنية من القرآن الكريم ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الأحكام تتجه إلى العقل ، فنزل أسلوبها هادىء البيان طويل الجمل مفصل الآيات واضح الغرض . أما إذا كانت الفكرة متشاجنة الأصول متشابكة الفروع فالأبلغ أن تفصَّل بالاستدارة . والاستدارة (La période) صورة من صور التعبير فى اللغات العليا ، تحدث عنها أرسطاطاليس وترجمها مترجموه إلى العربية بهذا الاسم ، ولكن البيانيين من علمائنا لم يحفلوا بهذا النوع ولم ينبهوا إليه فى أساليب العربية على كثرة وروده فى النثر والنظم ، حتى وقع عليه بعض المتأخرين فسموه (القول بالنظم) أو (حسن النسق)[1] . والاستدارة جملة متوسطة الطول تشتمل على فاتحة وخاتمة ، وتتألف من فواصل ترتبط بإحكام ، وتتساوق فى انتظام ، وتحمل كل فاصلة من فواصل الفاتحة جزءاً من المعنى بحيث لا يتم المراد إلا بذكر الجملة الأخيرة وهى الخاتمة

مثالها من الشعر قول النابغة :

فما الفرات إذا هب الرياح له ترمى غواربُه العِبْرين بالزَّبد
يمده كل وادٍ مترع لجب فيه ركام من الينبوب والخضد
يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنَّجد
يوماً بأجود منه سيبَ نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

ومثالها من النثر قول الجاحظ : « فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، وكان منزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف ، صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة » ، والاستدارة كثيرة الدوران فى طريقة ابن المقفع وطريقة الجاحظ

(للكلام بقية)

أحمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ٧٥

(١) قال ابن حجة فى خزانة الأدب : « حسن النسق ويسمى التنسيق نوع من محاسن الكلام وهو أن يأتى المتكلم بالكلمات من النثر أو الأبيات من الشعر متواليات أو متلاحمات تلاحماً سلسا مستحسناً ، وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية إذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه »